شرح الشاطبية

من كتاب:

الوافي في شرح الشاطبية

(بتصرف)

تأملات في المتشابهات

باب الاستعاذة

الاستعاذة: طلب العوذ، وهو الامتناع بالحفظ والعصمة،
والمراد هنا الاستعاذة قبل القراءة في مذهب القراء،
ولفظ الاستعاذة على اختلافه بالنقص والزيادة خبر بمعنى الدعاء.
أي: (اللهم أعذني من البلاء وشر الأعداء)،
والاستعاذة ليست من القرآن بإجماع العلماء.

٩٥- إِذَا مَا أَرَدتَّ ٱلدَّهۡرَ تَقۡرَأُ فَٱسۡتَعِذۡ ... جِهَارًا مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ بِٱللَّهِ مُسۡجَلَا

٩٦- عَلَىٰ مَا أَتَىٰ فِي ٱلنَّحۡلِ يُسۡرًا وَإِن تَزِدۡ ... لِرَبِّكَ تَنزِيهًا فَلَسۡتَ مُجَهَّلَا

- **أردت:** قصدت،
- **الدهر:** ظرف الزمان،
- **الجهار:** الإعلان ضد الإخفاء، مصدر جاهر إذا أعلن جهارا، كجاهد جهادا.
وهو صفة مصدر محذوف، والتقدير: تعوذا جهارا أي ذا جهار.
- **مسجلا:** اسم مفعول أسجل بمعنى أطلق،
(فمسجلا): بمعنى مطلقا، وهو أيضا صفة المصدر المحذوف أي: تعوذا جهارا مطلقا.
- وقوله: (على ما أتى): جار ومجرور متعلق بمحذوف وصف آخر للمصدر المحذوف،
أي: تعوذا كائنا على اللفظ الذي ورد في سورة النحل،
- **اليسر:** السهل، وهو مصدر منصوب في موضع الحال من فاعل أتى،
أي: حال كون هذا اللفظ يسرا، أي: ذا يسر وسهولة.
- **التنزيه:** التقديس.
- **المجهل:** المنسوب للجهل اسم مفعول.

• والمعنى: إذا أردت قراءة القرآن في أي زمن من الأزمان، ولأي قارئ من القراء، ومن أي جزء من أجزاء القرآن، سواء كان ذلك أول السورة أو أثناءها فتعوذ في ابتداء قراءتك تعوذا مجهورا به مطابقا للفظ الوارد في سورة النحل، حال كون هذا اللفظ ميسرا في النطق سهلا على اللسان لقلة كلماته وحروفه، بأن تقول في ابتداء قراءتك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من غير أن تزيد على هذا اللفظ شيئا،

❖ وإن شئت زيادة التعظيم لربك بوصف كمال ونعت جلال، فلست منسوبا إلى الجهل، لأنك أتيت بما يفيد كمال تنزيه الله عز وجل وتبرئته من جميع النقائص،

- كأن تقول: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم،
- أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهكذا.

❖ وقد نبه الناظم بقوله: (إذا ما أردت إلخ)، إلا أن قوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن) معناه: فإذا أردت قراءة القرآن، فاستعذ، فيكون في الآية مجاز مرسل من إطلاق اسم المسبب وإرادة اسم السبب

- كقوله تعالى: إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

٩٧ - وَقَدْ ذَكَرُوا لَفْظَ الرَّسُولِ فَلَمْ يَزِدْ وَلَوْ صَحَّ هَذَا النَّقْلُ لَمْ يُبْقِ مُجْمَلَا

- المعنى: أن جماعة من القراء والمحدثين ذكروا تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يزد الرسول شيئا على اللفظ الوارد في سورة النحل،
- فمن ذلك ما روي أن ابن مسعود قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا ابن أم عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)،
- وروى نافع، عن جبير بن مطعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

وهذان الحديثان ضعيفان،

وليس أدل على ضعف الحديثين من ورود أحاديث أخر أصح سندا منهما تعارضهما: منها ما أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري: قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)، قال الترمذي: هو أشهر حديث في هذا الباب.

وفي صحيح ابن خزيمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه).

❖ وقد أشار الناظم إلى ضعف الحديثين السابقين وأمثالهما بقوله: (ولو صح هذا النقل لم يبق مجملا)، والمراد بالإجمال: الإطلاق، أي لو صح نقل ترك الزيادة لذهب إجمال الآية، واتضح معناها وتعين لفظها، فلا يجوز العدول عنه.

● المعنى: لو كانت الأحاديث الدالة على ترك الزيادة على آية النحل ثابتة صحيحة السند لم تبق إجمالا في الآية، بل تكون الآية حينئذ واضحة المعنى، بينة المراد متعينا لفظها عند التعوذ فيقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بلا زيادة عليه أو نقص عنه، ولكن هذه الأحاديث الدالة على ترك الزيادة ضعيفة معارضة بأصح منها سندا، فحينئذ تبقى الآية على إجمالها وإطلاقها، فلا يتقيد القارئ بلفظها، بل يجوز له:

- النقص عنه بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان،
- والزيادة عليه بأن يقول: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، أو نحو ذلك، ويعتبر القارئ عندئذ ممتثلا للأمر في الآية الكريمة، سواء نقص عنها لفظا أو زاد عليها لفظا، أو اثنين، أو ثلاثة، ومما ينبغي التنبه له: أن الأمر في الآية الكريمة للندب على ما ذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف.

٩٨- وَفِيهِ مَقَالٌ فِي الْأُصُولِ فُرُوعُهُ فَلَا تَعْدُ مِنْهَا بَاسِقًا وَمُظَلِّلَا

- ضمير (فيه) : يعود على التعوذ.
- مقال : مصدر ميمي، والمراد به القول.
- الفروع : جمع فرع وهو الغصن.
- الباسق : الشجر الطويل المرتفع.
- المظلل : ما له ظل لكثرة ورقه.

● والمعنى: أن في التعوذ قولا كثيرا، وكلاما طويل الذيل، ممتد النسق، انتشرت فروعه في أصول الفقه، وأصول الحديث، وأصول القراءات.

❖ فأما أصول الفقه:
فيبحث فيها عن التعوذ من حيث إن الأمر به في الآية هل هو للوجوب أو للندب؟ وهل الآية واضحة الدلالة فيتعين لفظها أم مجملة فيصلح كل لفظ يدل على التعوذ؟

❖ وأما أصول الحديث:
فيبحث فيها عن درجة الأحاديث الدالة على التعوذ، وعن سندها وحال رواتها.

❖ وأما أصول القراءات
والمراد بها أمهات الكتب المؤلفة في هذا الشأن (كالكامل) للإمام الهذلي، و(الإيضاح) للأهوازي، و(جامع البيان) للداني فيبحث فيها عن التعوذ من حيث الجهر به والإخفاء، ومن حيث الوقف عليه أو وصله بما بعده.

● وقوله: (فلا تعد منها باسقا ومظللا)، معناه: فارجع إلى هذه الأصول وأمعن النظر فيها ولا تتجاوز منها القول الذي تعضده الأدلة، وتؤازره البراهين. فكنى بالباسق والمقال عن هذا القول.

٩٩- وَإِخْفَاؤُهُ وَ فَصْلٌ أَبَاهُ وُعَاتُنَا وَكَمْ مِنْ فَتًى كَالْمَهْدَوِيِّ فِيهِ أَعْمَلَا

✦ **الإخفاء**: هنا بمعنى الإسرار، وضمير (وإخفاؤه) : يعود على التعوذ
✦ **أبى الشيء**: تجنبه وامتنع من فعله. .
✦ **الوعاة**: جمع واع كقضاة جمع قاض، وهو الحافظ المدقق،

● وقد جرى كثير من شراح القصيدة على أن الفاء رمز لحمزة، والألف رمز لنافع.

❖ وعلى هذا يكون المعنى: أن حمزة ونافعا كانا يخفيان التعوذ عند قراءتهما، وممن أخذ به لحمزة مطلقا في جميع القرآن: الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي المقرئ المفسر المتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة، فإنه أعمل فكره في تصحيح الإخفاء، وتقريره، والقراءة، والإقراء به،

- وروى خلف، عن سليم، عن حمزة (أنه كان يجهر بالتعوذ في أول الفاتحة ويخفيه في سائر القرآن).
- وروى خلاد، عن سليم (أن حمزة كان يخير القارئ بين الجهر والإخفاء في التعوذ).
- وروى المسيبي، عن نافع (أنه كان يخفي التعوذ في جميع القرآن).

❖ وعلى هذا يكون قول الناظم: (وإخفاؤه) فصل في قوة الاستثناء من عموم قوله: (فاستعذ جهارا من الشيطان بالله مسجلا) فإنه بعمومه يدل على الأمر بالتعوذ جهارا في جميع الأوقات، وفي سائر القرآن، ولجميع القراء.

❖ ولكن الصحيح: أن لا رمز في البيت، وأن قوله: (فصل): معناه: فرق، وأنه بيان لحكمة إخفاء التعوذ، وهو الفرق بين القرآن وغيره، أو معناه: أن إخفاء التعوذ حكم من أحكامه. وكيفية من كيفياته، فكأنه قال: إخفاء التعوذ فرق بين القرآن وغيره، أو كيفية من كيفياته، رده أي الإخفاء علماؤنا الحفاظ الأثبات ولم يأخذوا به، بل أخذوا بالجهر به في جميع القرآن، ولكل القراء، كما أفاد ذلك عموم قوله: (فاستعذ جهارا من الشيطان بالله مسجلا) ذلك أن الجهر بالتعوذ إظهار لشعار القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد.

ومن فوائد الجهر به

❖ أن السامع للقراءة يتمكن من الإصغاء لها من أولها، فلا يفوته شيء منها، وإذا أخفى القارئ التعوذ فلا يعلم السامع للقراءة إلا بعد أن يفوته شيء منها. وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها، فإن المستحب للقارئ في الصلاة إخفاء التعوذ، وإن كان إماما، وفي صلاة جهرية، لأن المأموم منصت في الصلاة من أول الإحرام فلا يفوته شيء من قراءة إمامه.

• وفصل الخطاب في هذا المقام أن يقال: إن التعوذ يستحب إخفاؤه في مواطن، والجهر به في مواطن أخرى،

فمواطن الإخفاء:

❖ لو قطع القارئ قراءته لطارئ قهري كعطاس، أو تنحنح، أو كلام يتعلق بمصلحة القراءة، كأن شك في شيء في القراءة، وسأل من بجواره ليتثبت، فإنه لا يعيد التعوذ.

❖ أما لو قطعها إعراضا عنها، أو لكلام لا تعلق له بها، ولو ردا لسلام، فإنه يستأنف التعوذ

إضافة

حكم الاستعاذة :

- اتفق العلماء على أن الاستعاذة مطلوبة ممن يريد القراءة واختلفوا في حكمها .
- ذهب جمهور العلماء إلى أنها مستحبة عند البدء بالقراءة يثاب قائلها ولا يأثم تاركها.
- وذهب فريق إلى القول بالوجوب عند البدء بالقراءة أخذاً بقول الله تعالى في سورة النحل: (فاستعذ بالله) فقد حملوا الأمر على الوجوب.

أوجه الاستعاذة

عند البدء بسورة من القرآن	عند البدء من وسط السورة ولم نأتِ بالبسملة
(قطع الجميع) قطع الاستعاذة عن البسملة عن أول السورة.	قطع الاستعاذة عن الآية
قطع الاستعاذة عن البسملة ووصل البسملة بأول السورة.	وصل الاستعاذة بالآية
وصل الاستعاذة بالبسملة وقطعهما عن أول السورة.	
(وصل الجميع) وصل الاستعاذة بالبسملة بأول السورة.	